الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علما وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

أما بعد:

فنواصل القراءة في هذه الرسالة القيّمة والتي بعنوان **ذخيرة الإخوان في اختصار الاستغناء بالقرآن**.

نعم...

[الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمسلمين والمسلمات.

قال المصنّف رحمه الله تعالى:

" فصل

في ذكر النهي عن التشاغل عن القرآن بغيره من القصص والأخبار وغيرهما إلا ما كان مُعينا على فهمه:

أجمع العلماء على أن الاشتغال عن القرآن ولو بالحديث وغيره من العلوم الشرعية حتى يُنسى أو يُترك بسبب ذلك تدبُّره والتفقّه فيه وفهم معانيه وأوامره ونواهيه مذموم، وأن المحمود ما كان عليه السلف من الاهتمام بحفظ القرآن والاشتغال بما يعين على فهم معانيه من التفسير والحديث والأثر واستنباط العلوم منه لِما سبق أن العلم كلّه في القرآن، وقد قال الله تعالى { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } وقال { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ } وقال { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }.

وسبق قوله صلى الله عليه وسلم " ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله " "]

شرح الشيخ :

عقد المصنف رحمه الله تعالى هذا الفصل العظيم في النهي عن التشاغل عن القرآن بغيره من القصص والأخبار وغيرها إلا ما كان معينًا على فهمه وهذا من التعظيم للقرآن الذي كان عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

فهو أحسن القصص وأحسن الحديث وكتاب مبارك وهو أصدق القول { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا }، فكان السلف رضي الله عنهم وأرضاهم يعظّمون القرآن فلا يتشاغلون بغيره عنه بل شغلهم هذا التعظيم للقرآن والعناية به عن هذه الأشياء. ولهذا عقد المصنف رحمه الله تعالى هذا الفصل في النهي عن التشاغل عن القرآن بغيره من القصص والأخبار.

وقد قال الله عز وجل { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ } { إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}؛ موعظة القرآن أعظم موعظة وتذكيره أعظم التذكير، لكن كثير من الناس اشتغلوا عنه بالقصص والحكايات حتى إن بعضهم قد ينشغل في وعظه للناس بذكر القصص، ربما تطغى القصص في موعظته على الآيات، وربما يكون ذكر الآيات في موعظته نادرًا، وربما يعظ بالقصص وحدها فلا يذكر شيئًا من كلام الله سبحانه وتعالى وما هكذا كان السلف في تعليمهم وتذكيرهم ووعظهم.

فلا يُتشاغل عن القرآن بغيره من القصص والأخبار وغيرها إلا ما كان معينا على فهمه، وما يعين على فهمه يجد من يقرأ كتب التفسير لأئمة السلف رحمهم الله بعض الشواهد على ذلك؛ يجد شواهدًا على ذلك.

قد قال المصنف: " أجمع العلماء على أن الاشتغال عن القرآن ولو بالحديث وغيره من العلوم الشرعية حتى يُنسى أو يُترك بسبب ذلك تدبُّره والتفقّه فيه وفهم معانيه وأوامره ونواهيه مذموم " ولهذا ينبغي على المسلم وطالب العلم ولا سيما من وفقه الله لحفظ القرآن او حفظ قدر منه ان لا يتشاغل بأي شيء يشغله عنه، بل يحرص على ثبات هذا الحفظ وزيادته ويحرص أيضا على الطريقة المثلى الصحيحة في فهم كتاب الله سبحانه وتعالى.

يقول المصنف: " وأن المحمود " أي المسلك المحمود " ما كان عليه السلف من الاهتمام بحفظ القرآن والاشتغال بما يعين على فهم معانيه من التفسير والأحاديث والآثار واستنباط العلوم منه لِما سبق أن العلم كلّه في القرآن ".

ثم ذكر رحمه الله هذه الآيات تأكيدا على ذلك؛ { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ } فوصف القرآن بأنه أحسن القصص، ووصفه بأنه أحسن الحديث وأنه أصدق الحديث؛ قال { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ } وقال { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحدّث قومه وغيرهم بما ينزّله الله عليه من وحيه تبارك وتعالى، وقال في وصف القرآن { كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ } أي فيه بركة عظيمة جدّا { لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } فكيف تترك هذه البركة التي جعلها الله سبحانه وتعالى في هذا الكتاب العظيم ويُشتغل بغيره !

وصف الله القرآن بأنه أحسن القصص؛ أي في لفظه ومعناه، فألفاظه أفصح الألفاظ ومعانيه أجلّ المعاني، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في ذكر طريقة الفقهاء؛ فقهاء المحدّثين، قال " وأما فقهاء الحديث العاملون به فإن معظم همّهم البحث عن معاني كتاب الله وما يفسره من السنن الصحيحة وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحها وسقيمها ثم التفقّه فيها وتفهُّمها والوقوف على معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث ومسائل الحلال والحرام وأصول السنّة والزهد والرقائق وغير ذلك ".

وقال النووي رحمه الله " وينبغي أن يبدأ من دروسه على المشايخ وفي الحفظ والتكرار بالأهم فالأهمّ، وأول ما يبدأ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم، وكان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن. فإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالا يؤدي إلى نسيان شيء منه أو تعريضه للنسيان "

انظر ! من حفظ القرآن لا يشتغل بالحديث أو بالفقه اشتغالا يعرّضه لنسيان القرآن أو نسيان شيء منه، فماذا يقال لمن حفظ القرآن أو حفظ شيئا من القرآن واشتغل بآلات الجوال ؟ ! وأخذت منه الأوقات الكثيرة حتى أنسته القرآن أو أنسته كثيرا منه ؟ وهذا واقع. فالقرآن العظيم كتاب معظّم وينبغي على المسلم أن يعظّم القرآن، وإذا كان لا يشغله الفقه أو الحديث عن القرآن فكيف تشغله الملهيات الأخرى حتى ينسى ما حفظ من القرآن ! ؟

نعم...

[أحسن الله إليكم.

قال رحمه الله تعالى:

" وفي الفصل ستّة أحاديث:

– الأول: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وسلم أحدثُ الأخبار، تقرؤونه محضًا لم يُشَب "]

" أحدث الأخبار بالله "كما في المصدر المحال لصحيح البخاري.

[أحسن الله إليكم.

قال: " وكتابكم الذي أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وسلم أحدثُ الأخبار بالله، تقرؤونه محضًا لم يُشَب وقد حدثكم الله في كتابكم أنهم قد غيّروا كتاب الله وبدّلوه وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله واشتروا به ثمنًا قليلا. ألا ينهاكم العلم الذي جاءكم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عمّا أنزل الله إليكم. " رواه البخاري]

شرح الشيخ :

هذا الأثر عظيم جدّا عن الصحابيّ الجليل حَبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال " كيف تسألون أهل الكتاب " المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى " عن شيء وكتابُكم.. " أي القرآن " الذي أنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وسلم أحدثُ الأخبار بالله " أحدث الأخبار بالله أي أقربها نزولا إليكم من الله جلّ وعلا، " تقرؤونه محضًا " أي خالصًا صافيًا " لم يُشَب " أي لم يُخلط، أما الكتب السابقة فهي مشوبة خلطت بأشياء ليست من كلام الله " وقد حدثكم الله في كتابكم أنهم قد غيّروا كتاب الله وبدّلوا وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله واشتروا به ثمنًا قليلا "؛ يشير إلى قول الله جل وعلا في سورة البقرة { فويل للذين يكتبون....يكسبون } " ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم " هكذا لفظه في الصحيح " ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ " فهذا فيه أن النهي عن التشاغل بغير القرآن أو التشاغل عن القرآن بغيره؛ " ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ " أي: في القرآن الذي بين أيديكم الكفاية والغُنية.

ثم قال رضي الله عنه " لا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عمّا أنزل الله إليكم. " ما رأينا رجلا منهم – أي اليهود والنصارى – عمّا أنزل الله إليكم، هذا مع علمهم بأن كتابنا لم يُحرف، فكيف نسألهم وقد علمنا أن كتابهم مُحرّف ؟ ! هملا يسألوننا وهم يعلمون أن كتابنا غير محرّف، فكيف نسألهم نحن ونحن نعلم أن كتابهم محرّف ؟

نعم...

[قال المصنّف رضي الله عنه:

" الثاني: عن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب – وفي رواية من بعض بني قريظة – ليزداد به علما، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيّا ما وسعه إلا أن يتّبعني " رواه أحمد والنَّسائي.]

شرح الشيخ :

ثم أورد رحمه الله هذا الحديث عن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب – وفي رواية من بعض بني قريظة – ليزداد به علما، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: " والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة "

بيضاء أي واضحة صافية نقية لم يشبها شيء.

" والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيّا ما وسعه إلا أن يتّبعني "

" ما وسعه إلا أن يتّبعني " وهذا فيه أن رسالة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه لجميع الناس؛ عربهم وعجمهم، وهي باقية دائمة إلى قيام الساعة، بل هي عامة أيضا للثقلين الجن والإنس. وليس لأحد من الخلائق الخروج عن طاعته ومتابعته صلوات الله وسلامه عليه، بل لو كان الأنبياء – وهذا موطن الشاهد من الحديث –، لو كان الأنبياء السابقون قبله أحياء لوجب عليهم اتباعه، لوجب عليهم اتباعه. ومصداق هذا الحديث؛ قوله " لو كان موسى حيّا ما وسعه إلا أن يتّبعني "، مصداق هذا الحديث قول الله سبحانه وتعالى { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ } قال ابن عباس في الكلام على هذه الآية " ما بع الله من نبي إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمّد وهو حيّ ليؤمنن به " لو محمّد صلى الله عليه وسلّم وهو حيّ ليؤمنَنّ به، فالأنبياء لو أن أحدًا منهم حيٌّ لما وسعه إلا أن يتبع محمدا عليه الصلاة والسلام، ولهذا عيسى عليه السلام لما ينزل آخر الزمان لا يحكم بين الناس بالإنجيل – وهو الكتاب الذي أُنزل عليه – وإنما يحكم بالقرآن، لأنه بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يسع أحدا من الناس أيًّا كان أن يحكم بغير الكتاب المنزل على نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. وهذا كله شواهد إلى انه لا يشتغل عن القرآن بل ان يعظّم وان يقدّم وان يكون في أولى أولويات المرء وفي مقدّمة اهتماماته.

نعم...

[قال المصنّف رحمه الله تعالى:

" الثالث: عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحُه " رواه احمد ومسلم.

الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم لما خطب عام الفتح وذكر حرمة مكة قام رجل يقال له أبو شاهٍ قال: اكتبوا لي يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اكتبوا لأبي شاه ". رواه البخاري ومسلم.

الخامس: عن الزهري عن سعد بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد كتب الصدقة وما فيها من نصاب المواشي ومقدار الواجب فيها، ولم يخرجها إلى عماله حتى توفي، فأخرجها أبو بكر رضي الله عنه من بعده. رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

قال العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث: كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى في اول الإسلام عن كتابة غير القرآن لئلا يلتبس بغيره كما دلّ عليه حديث أبي سعيد، ثمّ نَسخ ذلك بقوله وفعله صلى الله عليه وسلم لما تميز القرآن عن غيره واشتهر وكثُر حفاظه كما دلّ عليه حديث أبي هريرة وابن عمر، فلا تعارض بين الأحاديث.]

شرح الشيخ :

أورد رحمه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحُه " وهذا من أجل ألا يلتبس مع القرآن غيره ولا يخلط به غيره، فكان ينهى عليه الصلاة والسلام عن أن يكتب عنه شيء إلا القرآن فقط، أذن لهم بأن يكتبوه ولا يكتبوا شيئا من احاديثه عليه الصلاة والسلام. ثم بعد ذلك أذِن، فهذا الذي جاء في حديث أبي سعيد نُسخ؛ جاءت أحاديث نسخته مثل حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمر، نسخت هذا الحديث لأنها واضحة في الإذن بالكتابة، ولهذا قال ابن تيمية عن حديث أبي سعيد " وذلك منسوخ عند جمهور العلماء بإذنه لعبد الله بن عمرو أن يكتب عنه ما سمعه في الغضب والرضا وبإذنه لأبي شاه أن يُكتب له خطبتُه عام الفتح وبما كتب لعمرو بن حزم من الكتاب الكبير الذي كتبه له لما استعمله على نجران وبغير ذلك ".

فالشاهد أن حديث أبي سعيد منسوخ، ومن كتب قال " فليمحُ ما كتب " ثم بعد ذلك لما استقرّ الأمر وأُمِنَ الاشتباه والالتباس أذِن في آخر الأمر عليه الصلاة والسلام بالكتابة كما تفيد الأحاديث التي ساق؛ الأحاديث العديدة في هذا الباب والتي منها من ساقه المصنف مثل حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلّم لما خطب عام الفتح وذكر حرمة مكة وذكر أيضا أشياء أخرى في خطبته قام رجل يقال له أبو شاهٍ فقال: اكتبوا لي يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اكتبوا لأبي شاه "، الذي قال " اكتبوا لأبي شاه " يقصد الخطبة، ولهذا الأوزاعي قيل له: ما قوله اكتبوا لي يا رسول الله ؟ يعني ما المراد ؟ قال " هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله "، فقال " اكتبوا لأبي شاه " أي اكتبوا له الخطبة، فهذا أفاد أنه أذن بكتابة غير القرآن؛ هناك قال " من كتب فليمحُ " وهنا قال " اكتبوا لأبي شاه "، فهذا دليل على أنه أذن.

كذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم قد كتب الصدقة وما فيها من نصاب المواشي ومقدار الواجب فيها، ولم يخرجها إلى عماله حتى توفي، فأخرجها أبو بكر من بعده. "،

فهذا يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم يعني جاء عنه ما يدل على الإذن بالكتابة من قوله؛ " اكتبوا لأبي شاه "، ومن فعله كما في حديث ابن عمر. ولهذا أشار المصنّف إلى هذا بقوله " ثمّ نَسخ ذلك بقوله وفعله "؛ بقوله كما في حديث أبي شاه، وبفعله كما في حديث ابن عمر.

لكن متى حصل هذا الإذن ؟ قال المصنّف " **لما تميز القرآن** " " لما تميز القرآن عن غيره واشتهر وكثُر حفاظه كما دلّ عليه حديث أبي هريرة وابن عمر، فلا تعارض بين الأحاديث. "

الحاصل أن هذا كله من التعظيم للقرآن والاهتمام بالقرآن والتقديم له؛ يُكتب القرآن ولا يكتب حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، مع أن كلاهما وحي، لأن شأن القرآن عظيم ولئلا يلتبس بالقرآن غيره، هذا كله من التعظيم للقرآن والتقديم له.

وأيضا أشير هنا إلى نقل عن النووي رحمه الله ذكر فيه قال " جاءت أحاديث بالنهي عن كتابة غير القرآن، فمن السلف من نهى عن كتابة العلم وقال جمهور السلف بجوازه، وأجابوا عن أحاديث النهي بجوابين: أحدهما أنها منسوخة – مثل ما ذكر المصنف – والثاني أن النهي نهي تنزيه لمن وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن لمن لم يثق بحفظه " وهذا القول، القول الأول أوضح، لكن هذا القول يساعد على فهم الباب؛ مقصد المصنّف في هذا الباب أن هذا كله من التعظيم للقرآن الكريم وأن يبقى مضبوطًا متقنًا لا ينشغل الإنسان بشيء يفوّت عليه إتقان القرآن. فإذا كان النبيّ صلى الله عليه وسلم منع من كتابة حتى الحديث، فلا يشتغل الإنسان بشيء يشغله عن القرآن وينسّيه القرآن، لا يشتغل بشيء من ذلك.

نعم...

[أحسن الله إليكم.

قال المصنّف رحمه الله تعالى:

" السادس: عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب الأرض وكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها ناسًا فشربوا ورعوا وسقوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به. " رواه أحمد والبخاريّ ومسلم.

والكلأُ محرّكًا مقصورٌ: المرعى رطبًا ويابسا.

والعُشب: الرطب منه.

والأجادِب بالجيم والدال المهملة: الصلبة.

وفقُه بضم القاف وكسرها وفتحها.

قال " وفي الحديث المدح والثناء لمن تفقّه في الدين وذلك بفهم كتاب الله وتدبر معانيه والذّمّ لمن أعرض عن ذلك، وقد قال الله تعالى فيمن لم يتذكّر كلامه وكلام رسوله { وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ } أي قبل الآن، { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ }]

شرح الشيخ :

ثم ختم رحمه الله هذا الفصل بهذا الحديث؛ حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب الأرض " وهذا التشبيه للعلم بالغيث جاء نحوه في القرآن في سورة الحديد { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ } أي كما أنه يحيي الأرض بعد موتها بالماء فكذلك يحيي القلوب بعد موتها بالوحي، ففيه التشبيه للوحي بالغيث.

وإذا كان الوحي في حاله في التأثير في القلوب كالغيث فلننظر إلى الأرض، هل هي سواء إذا نزل عليها الغيث ؟ هل هي سواء إذا نزل عليها الغيث في الانتفاع بهذا الغيث ؟ لا. إذا نظر الإنسان للأرض، تأتي أمطار غزيرة، ثم يجد أجزاء من الأرض أنبتت العشب الكثير، ويجد أجزاءً من الأرض ما أنبتت عشبًا لكنها حفظت الماء والناس يردون إلى الماء ويستفيدون منه، ويجد أرضًا لا تنبت ولا تمسك ماءً، فيجد أن الأرض أقسام.

إذا كانت الأرض أقسامًا فإن قلوب الناس مع الوحي مثل أقسام الأرض، فيقول عليه الصلاة والسلام " وكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير " هذا قسم " وكانت منها أجادب " يعني صلبة متينة " أمسكت الماء " فحصل انتفاع بإمساكها للماء " فنفع الله بها ناسًا فشربوا ورعوا وسقوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقُه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به. " فذكر حال الناس أنهم على ثلاث أقسام؛ قسمان سعيدان؛ الأول والثاني، وقسم شقيٌّ هالك وهو القسم الثالث الذي مثله في الأرض كالقيعان التي تمسك ماءً ولا تنبت كلأً.

وينظر في الكلام على هذا الحديث كلامًا نفيسًا للغاية في شرح الرسالة التبوكية لابن القيّم، ولولا خشية الإطالة لقرأنا كلامه رحمه الله تامًّا.

قال " وفي الحديث المدح والثناء لمن تفقّه في الدين وذلك بفهم كتاب الله وتدبر معانيه والذّمّ لمن أعرض عن ذلك "؛ الذي مثله كالأرض القيعان، " وقد قال الله تعالى فيمن لم يتذكّر كلامه وكلام رسوله { وَمِنْهُم } أي المنافقون { مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ} لكن ما نوع هذا الاستماع ؟ يستمع استماعًا مجرَّدا؛ لا عن قبول ولا انقياد، بل قلوبهم معرضة { حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ } أي ماذا قال قبل قليل ؟، لو كانوا حريصين على الخير لألقوا السمع إلى الخير فانتفعوا واستفادوا، لكن قلوبهم معرضة غير راغبة، قال { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } .

الطبري رحمه الله ذكر فائدة لطيفة؛ قال "كان يُقال: الناس ثلاثة " يعني في السماع " الناس ثلاثة: سامعٌ فعامل، وسامعٌ فغافل، وسامعٌ فتارك " أي في أحوالهم مع السماع.

نعم...

[أحسن الله إليكم.

قال المصنّف رحمه الله تعالى:

" فصلٌ في ذكر النهي عن أن يُضرب كتاب الله بعضه ببعض:

وفيه ثلاثة أحاديث:

الأول عن عمرو بن شعيب بن محمّد بن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن أبيه عن جدّه أنه قال " سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا يتنازعون في شيء من القرآن فقال: " إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضا، فلا تكذّبوا بعضه ببعض، فما علمتم فقولوا وما جهلتم فكِلوه إلى عالمِه."" رواه الإمام أحمد.]

شرح الشيخ :

قال " فصلٌ في ذكر النهي عن أن يُضرب كتاب الله بعضه ببعض " أن يُضرب كتاب الله بعضه ببعض:

جاء في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشكّ في قلوبكم "، كيف يكون ضرب كتاب الله بعضه ببعض ؟ هذه الطريقة التي هي ضرب كتاب الله بعضه ببعض هي

طريقة من يريد أن يوقع الشك مثل ما قال ابن عباس " يوقع الشكّ في قلوبكم "، طريقة من يريد أن يوقع الشك في القلوب، أن يشكّك الناس فيما علموه لكونه وإياهم لم يفهموا ما توهموا أنه يعارض القرآن، وهذا أصل الفتنة وأعظم ما يوقع في الفساد وهي طريقة أهل الزيغ؛ يأتي إلى، يعني عنده شيء في القرآن علمه وشيء في القرآن يتوهم أنه يعارض ما علمه؛ الأصل أن القرآن ماذا ؟ لا يعارض بعضه بعضا؛ ليس فيه تعارض ليس فيه تناقض، هذا الأصل، فبعض الناس يعلم شيئا من القرآن ثم يتوهم في مقام آخر في القرآن أنه يعارض هذا الأمر فماذا يصنع ؟ يضرب بعضه ببعض فيقع الشكّ في قلبه، هذه مصيبة عظيمة، هذه أصل الفتنة وهذه طريقة أهل الزيغ؛ { فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ }.

مرة أخرى، ضرب القرآن بعضه ببعض: أن يأتي إلى شيء يعلمه من القرآن يفهم معناه، ثم يأتي إلى شيء آخر في القرآن يتوهّم أنه يعارض هذا الذي يعلمه من القرآن فيضرب بعضه ببعض؛ يقول: كيف، كيف يقول الله في كذا كذا ويقول في الموطن الثاني كذا ؟ هذا يعارض بعضه بعضا؛ يضرب القرآن بعضه ببعض. القرآن ليس فيه تعارض. فطريقة أهل الزيغ هي هذه التي نهي عنها؛ ضرب القرآن بعضه ببعض.

أما طريقة أهل الحقّ فهي ردّ المتشابه إلى المحكَم والخفيّ إلى الجليّ فبهذا يُصدّق بعضه بعضا ولا يحصل فيه تناقض ولا تعارض. فهذا فرقان بين طريقة أهل الحق وطريقة أهل الزّيغ والضلال.

وأورد هذا الحديث؛ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال " سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومًا يتنازعون في شيء من القرآن فقال: " إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض " هذا ما يجوز " وإنما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضا " يصدّق بعضه بعضا، مثل ما قال الله { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا } يعني لا يعارض بعضه بعضا بل يصدِّق بعضه بعضا " فلا تكذّبوا بعضه ببعض " لا تكذّبوا بعضه ببعض؛ لا يقول قائل: هذه الآية يعارضها كذا، هذه الآية يناقضها كذا، هذه الآية تخالف كذا..." لا تكذّبوا بعضه ببعض، فما علمتم فقولوا وما جهلتم " ماذا تصنعون ؟ " فكِلوه إلى عالمِه." يعني هذا الذي اشتبه عليهم يكِلونه إلى عالمه، ما يقولون هذا يناقض كذا، بل يكلونه إلى عالمه، يقولون الله أعلم به، يكلونه إلى عالمه سبحانه وتعالى. " فكِلوه إلى عالمِه."

هذا حتى يسلم المرء، لكن طريقة الرّاسخين يردّون هذا المتشابه للمحكم فيزول هذا ويردّون الخفي إلى الجليّ فيتضح لهم ويزول عنهم الاشتباه.

نعم...

[قال رحمه الله تعالى:

" الثاني: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت " قرأ النبي صلى الله عليه وسلم { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ } فقال صلى الله عليه وسلم: " إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم. " ". رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له. "]

شرح الشيخ :

قال رحمه الله: الثاني: حديث عائشة أنها قالت " قرأ النبي صلى الله عليه وسلم { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ } " { آيات محكمات }: أي واضحات الدلالات بيّنات المعاني ظاهرات { هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ } أي أصله الذي يرجع إليه كل ما تشابه على المرء من كتاب الله { وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ } معنى متشابهات أي يلتبس معناها على كثير من الأذهان، { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } الآن سيذكر الله طريقتين؛ قال { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ } الأصل أنهم ماذا يصنعون إذا وُجد شيء متشابه ؟ أن يردّوه إلى الأصل الذي هو المحكم ليزول الاشتباه، لكن هم يعكسون الطريقة، ماذا يصنعون ؟ { فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } بمعنى أنهم يتركون المحكم ويذهبون إلى المتشابه فيعكسون الأمر فتقع الفتنة والفساد العظيم.

أما طريقة أهل الحق الراسخون في العلم فإنهم يعلمون أن هذا وهذا كله من عند الله وأنه لا تعارض بينه ولا تناقض ويردّون ما تشابه منه إلى المحكم فيزول الاشتباه ولا يبقى.

قال عليه الصلاة والسلام " فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم. "

لفظ البخاري ومسلم " فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم "، الإشارة في قوله " سمّى الله " أي إلى قوله { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ }؛ سمّاهم زائغين. " فأولئك الذين سمّى الله " هكذا لفظه في البخاري ومسلم؛ بحذف المفعولين؛ أي (سمّاهم أهلَ الزيغ).

قال " فاحذروهم "

هل لهؤلاء وجود الآن ؟ هل لهؤلاء وجود ؟ والله مصيبة الأمة عظيمة مع الشاشات والجوّالات، كم دخل على الناس من هؤلاء ! النبي صلى الله عليه وسلم قال " فاحذروهم " وتجد الشابّ ما عنده شيء من العلم يفتح ونظر إلى أناس من اهل الزيغ؛ يتكلمون في القرآن ويقولون عن الله وفي وحيه وفي كلامه وفي كلام رسوله بغير علم، بغير علم، ويزخرفون القول فيُفتن بزخرفتهم للقول ويزيّنن العبارة فيُفتن بتزيينهم للعبارة ويدخل عليهم من الفساد في فهم

كلام الله الشيء الكثير، والنبي صلى الله عليه وسلم قال " فاحذروهم ". الآن كثير من الشباب والشابات والناشئة يفتح وينظر لكل أحد وه أصلا ما عنده قاعدة في العلم ولا قاعدة في الفهم ولا أصول يبني عليها ويستمع لكثير من هؤلاء الذين حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من السماع إليهم؛ أهل قرآن يتكلمون بالقرآن بأهوائهم، بآرائهم، بعقولهم، بفلسفاتهم، ببعدهم عن السلف ونهج السلف وطريقة السلف في فهم كتاب الله سبحانه وتعالى.

قال " إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم. " الآن يتكلمون في الشاشات وفي هذه الأجهزة، يتكلمون كلاما باطلا في معاني القرآن ومعاني أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ومع ذلك يجدون من يستمع إليهم، أين قول النبي صلى الله عليه وسلم " فاحذروهم " ؟ أين قول النبي صلى الله عليه وسلم " أولئك الذين سمّى الله فاحذروهم " ؟

الآية هنا؛ { هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ }، يقول الطبري رحمه الله " هذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا من أهل الشرك فإنه معنيّ بها كل مبتدع في دين الله بدعةً فمال قلبه إليها تأويلا لبعض متشابه آي القرآن ثم حاجّ به وجادل به أهل الحقّ وعدل عن الواضح من أدلّة الآيات المحكمات إرادةً منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين وطلبًا لعلم تأويل ما تشابه عليه من ذلك كائنًا من كان " يعني يشمله؛ يشمله الذم الذي في هذه الآية وفي حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

نعم...

[أحسن الله إليكم.

قال رحمه الله تعالى:

" الثالث: عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } وفي قوله تعالى { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ }. الآية. : " هم الخوارج ". " رواه أحمد. "]

شرح الشيخ :

نعم، هذا لا يثبت مرفوعًا إلى النبي عليه الصلاة والسلام؛ فيه أبو غالب البصري مختلفٌ فيه، وإنما يبت من قول أبي أمامة؛ الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } إذا قرأ هذه الآية قال " إن لم يكونوا الخوارج والسَّبئية فلا أدري من هم "؛ الحاصل أن هذا المعنى جاء عن غير واحد من السلف في معنى هذه الآية، لكن لم يثبت مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

نعم...

[قال رحمه الله تعالى:

" قال العلماء: المراد بالمحكم هنا ما ظهر المراد منه بما يجب اعتقاده أو يجب العمل به، وبالمتشابه ما لم يظهر المراد منه مما وصف الله به نفسه أو وصفته به رسله فيجب الإيمان بأنه من عند الله وبأن له معنًى لائقًا بجلال الله لا يعلمه إلا الله أو من أطلعه الله عليه من الراسخين في العلم كما حكى الله عنه في قوله { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ } فعلى هذا التشابهُ هنا مأخوذٌ من قولك: اشتبه عليّ الأمر؛ أي أشكل عليَّ معرفة المراد منه، ومنه { إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا } أي أشكل علينا معرفة البقرة التي أمرنا الله بذبحها.

هذا التشابه نوع من القرآن يقابل المحكَم السابق.

وقد يرد المحكم بمعنى الثابت المتّفِق الصّنعة والمتشابه بمعنى المتماثل؛ قال الله تعالى { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } أي أُثبتت في أماكنها، وقال تعالى { كِتَابًا مُّتَشَابِهًا } فعلى هذا يعُمّ الإحكام والتشابه القرآن كلَّه. ومعنى التماثل في القرآن توافق آياته في تصديق بعضها لبعضٍ كما سبق في الحديث. وقد يُفسّر المحكَم بما لم يُنسخ حكمه.

وكذلك ابتغاء التأويل المذموم إنما هو ابتغاء تأويل المتشابه بمجرّد الرأي لابتغاء الفتنة وإفساد العقائد السُّنّيّة كما هو شأن أهل البدع والأهواء، لا لأجل العلم والاهتداء فإنه محمود؛ ولهذا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما بأن يعلّمه الله التأويل.

ومعنى التأويل لغةً وشرعًا: معرفة ما يؤول إليه الأمر، ومنه قول يوسف عليه السلام { هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ } وكذا قول الله تعالى { هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ } أي وجودُ حقيقةٍ للخبر به في الخارج. "]

شرح الشيخ :

هنا ذكر رحمه الله تعالى هذه الخلاصة في معنى المحكَم والمتشابه، والكلام في هذا قد يطول لكنّني أُلخّصه تلخيصًا موجزًا واضحًا.

الآية التي مرّت معنا في أوائل آل عمران وُصف فيها بعض القرآن بأنه مُحكم وبعضه بأنه متشابه؛ { **مِنْهُ** آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ **وَأُخَرُ** مُتَشَابِهَاتٌ ۖ } فوُصف بعض القرآن بأنه محكم وبعضه بأنه متشابه.

وفي موطن آخر وُصف القرآن كلّه بأنه محكم؛ { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } هذا وصْف القرآن كلّه بأنه مُحكَم.

وفي آية أخرى وُصف القرآن كلّه بأنه متشابه؛ { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا }.

فوصف القرآن كله بأنه محكم، ووصف القرآن كله بأنه متشابه، وفي آية آل عمران وصف بعض القرآن بأنه محكم وبعضه بأنه متشابه.

فأخذ من ذلك العلماء أن الإحكام والتشابه الذي وصف به القرآن على نوعين:

- إحكام خاص وتشابهٌ خاصّ.
- وإحكامٌ عامّ وتشابهٌ عامّ.

لا بد ان يُفرَّق ويُفهَم.

- أما الإحكام الخاصّ والتشابه الخاصّ: فهو الذي جاء في آية آل عمران؛ { مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ } { وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }، وقد عرفنا قبل قليل أي محكمات: واضحات المعاني؛ معناها واضح لا يشتبه، معناها واضح ظاهر بيّن لا يشتبه. { وَأُخَرُ } يعني آيات أخر { مُتَشَابِهَاتٌ } أي معناها قد يلتبس على كثير من الأذهان، قد يلتبس على كثير من الأذهان لا تدري معناه؛ هناك آيات معناها واضح بيّن لا يلتبس، وهناك آيات فيها اشتباه في معناها؛ فيها التباس في معناها؛ ليس معناها ظاهرا مثل المحكم، ولهذا ذكر الله عز وجل؛ قال فيما يتعلّق بالمتشابه { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ }، ولهذا المتشابه هنا ليس متشابهًا مطلقًا لا يفهمه أي أحد، لم ينزّل في القرآن كلاما لا يُفهم أبدًا، لكنه في القرآن متشابه لا تفهمه كثير من الأذهان وإنما يفهمه من ؟ الراسخون في العلم؛ يفهمه الراسخون في العلم. فالتّشابه هو الاشتباه في المعنى.
- أمّا الإحكام العامّ؛ { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ } فهو مُتقن؛ محكم أي متقن، مثل ما قال المصنّف " الثابت المتّفِق الصّنعة " محكم أي متقن؛ ليس فيه تعارض وليس فيه تناقض الخ..

والمتشابه: المتجانس المتماثل؛ يؤيّد بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعض ويعضد بعضه بعضًا ويصدِّق بعضه بعضاً؛ متشابه. فهذا التشابه العامّ والإحكام العامّ.

وهنا شرح بالمثال: " قال العلماء: المراد بالمحكم هنا ما ظهر المراد منه بما يجب اعتقاده أو يجب العمل به، والمتشابه ما لم يظهر المراد منه مما وصف الله به نفسه أو وصفته به رسله – صلوات الله وسلامه عيهم – فيجب الإيمان بأنه من عند الله "

والصفات واضحة، الصفات واضحة؛ ليست من المتشابه الذي يخفى معناه بل معناها واضح، إلا إن أُريدَ بالتشابه التشابهُ النسبيّ؛ بحيث ان بعض الناس لقلة علمه وقلّة بصيرته قد يشتبه عليه المعنى في بعض الصفات أو بعض احاديث الصفات فلا يفهم، قد يحصل هذا، قد يكون مثل هذا الاشتباه.

أما أن يقال غن الصفات من المتشابه الذي لا يُفهَم معناه فهذا قطعًا لا يصحّ ولا يكون مُرادًا.

لما ذكر هذه المعاني قال " وقد يُفسّر المحكَم بما لم يُنسخ " محكم أي لم ينسخه شيء، وهذا مما جاء عن بعض السلف في تفسير المحكم. ولهذا كان يقال: هل عرفت الناسخ والمنسوخ ؟ فإذا عرفت الناسخ والمنسوخ عرفت المحكم. يقصد بذلك ان المحكم الذي ؟ لم ينسخ.

والتأويل أشار إليه في الخاتمة، التأويل؛ هناك التأويل المذموم وهو صرف النص عن ظاهره بغير برهان، بغير حجّة، بغير قرينة تؤيّد ذلك.

أما التأويل الذي هو تفسير المعنى؛ تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالحديث، أو تفسير القرآن بالشواهد والدلائل البيّنة الواضحة فهذا داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس " اللهم علمه التأويل "، وهو المراد بالمعنى في قوله { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } أي معناه.

هذا معنًى للتأويل.

والمعنى الآخر الذي أشار إليه المصنف؛ قال " ومعنى التأويل لغةً وشرعًا: معرفة ما يؤول إليه الأمر، ومنه قول يوسف عليه السلام { هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ } وكذا قول الله تعالى { هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ } أي وجودُ حقيقته في الخارج." أي وقوعه.

ومنه أيضا قول عائشة رضي الله عنها "كان يتأَول القرآن يعني يفعل ما تؤول إليه هذه الحقيقة في القرآن.

نعم...

[قال المصنّف رحمه الله تعالى:

" فصلٌ

في ذكر النهي عن معارضة السنة بما يُفهم من ظاهر القرآن وأن تُردّ السنّة الثابتة من أجل ذلك لأن السنّة هي المبيّنة للقرآن الموضّحة للمراد منه قال الله تعالى { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }.

وفيه أربعة أحاديث:

الأوّل: عن أبي رافعٍ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا أعرفنَّ الرجل يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به ونهيتُ عنه فيقول: ما أدري ما هذا وعندنا كتاب الله ليس هذا فيه " رواه أبو داوود والترمذيُّ وابن ماجه. "]

شرح الشيخ :

قال " فصلٌ في ذكر النهي عن معارضة السنة بما يُفهم من ظاهر القرآن ": السنة أي الصحيحة الثابتة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، لا تُعارَض بما يُفهم من ظاهر القرآن. والنقل كتابًا وسُنّة ليس بينه تعارض لأنه وحي، وإذا وُجد تعارض عند امرئٍ بين آية وآية أو بين آية وحديث – حديثٍ صحيح ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم – فالتعارض في فهمه وليس في النّقل، لأن النّقل وحي من الله لا تعارض بينه، سواء الوحي الذي هو القرآن أو الوحي الذي هو الحكمة المنزّلة على الرسول عليه الصلاة والسلام. ولهذا لا يجوز أن يعارض السنة بما يفهمه من ظاهر القرآن.

فلا يضرب القرآن بعضه ببعض كما في الباب السابق، ولا يضرب القرآن بالسنة والسنة بالقرآن فيقال: هذا يعارض ما في السنة أو نحو ذلك، فيأتي إلى أحاديث صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويردّها زعمًا منه أنها تعارض ماذا ؟ ظاهر القرآن، من أجل أن يردّ السنّة الثابتة.

قال رحمه الله " لأن السنّة هي المبيّنة للقرآن " فكيف يقال إن السنة فيها شيء يعارض القرآن ! وهي المبينة له الشارحة له الموضحة للمراد منه.

ثم ذكر الدليل على ذلك؛ قال: " قال الله تعالى { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } ".

{ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ } أي السنة التي أُنزلت عليه { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } أي القرآن، فبيّن صلى الله عليه وسلم لفظ القرآن ومعناه، ولهذا صارت معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقا ظاهرا لما توارثته الأمة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما توارثوا عنه ألفاظ القرآن.

وقول الله عز وجل في الآية { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } هذا يفيد بأنه ليس لأحد أن يستغني بالكتاب عن السّنة لأن الله نزّل على نبيّه ما يبيّن به القرآن، كيف تُهمل السنّة في فهم القرآن، فكيف تُهمل السنّة في فهم القرآن ! ؟

فإذا كان ليس لأحد أن يستغني بالكتاب عن السنة فكيف بمن قدَّم على القرآن الرأيَ أو قدّم على السنّة الرأيَ؛ الرأي المذموم السقيم.

قال " وفيه أربعة أحاديث " ذكر الأول منها؛ عن أبي رافع.

نواصل الكلام عليها إن شاء الله بعد صلاة العشاء.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك نبيّنا محمّد وآله وصحبه.